جامعة محمد لمين دباغين سطيف -2
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم الفلسفة

Université Mohammed Lamine-Debaghine Sétif-2
Faculté des sciences sociales et humaines
Département de Philosophie

سلسلة محاضرات مقياس تاريخ العلم

للسنة الثانية ليسانس

فلسفة عامة

المحاضرة الأولى: المدخل المفاهيمي لتاريخ العلم.

د. طرابلسي عمار

أولا: مفهوم تاريخ العلم.

عكفت المدارس التصنيفية المعاصرة على تحديد أهداف وخصائص ومميزات لكل بحث علمي وتاريخي، في عصر المفاهيم والعلوم والمعرفة المفتوحة، كان لزاما على المدارس الفلسفية والمنهجية، إحاطة هذه المعرفة بموضوع ومنهج وقانون تنتمي إليه الدراسة بالضرورة، لذلك فإن تاريخ العلم واحد المجالات الأكثر تداولا نظرا لأهميته في فك المشكلات التاريخية المتعلقة بالعلوم على اختلاف طبيعتها وتصنيفاتها.

يندرج موضوع تاريخ العلم في محاولة الكشف عن التشكلات البنائية للمعرفة العلمية، والتطورات التي حصلت في كل موضوعات العلوم المختلفة، فيما تكون الفلسفة بمناهجها ومفاهيمها هي الفضاء الأكثر وسعة لاستيعاب هذه الموضوعات، فإن ذلك يعود لعلاقة الفلسفة بالعلم نفسه، منذ نشأته، ومحاكاة كل تطوراته، فالفعل الفلسفي تاريخيا لم يكن بمعزل عن التفكير العلمي، ولذلك فإن هذا الارتباط الوثيق هو الذي يجعل من الفلسفة مجالا خاصا لدراسة تاريخ العلم.

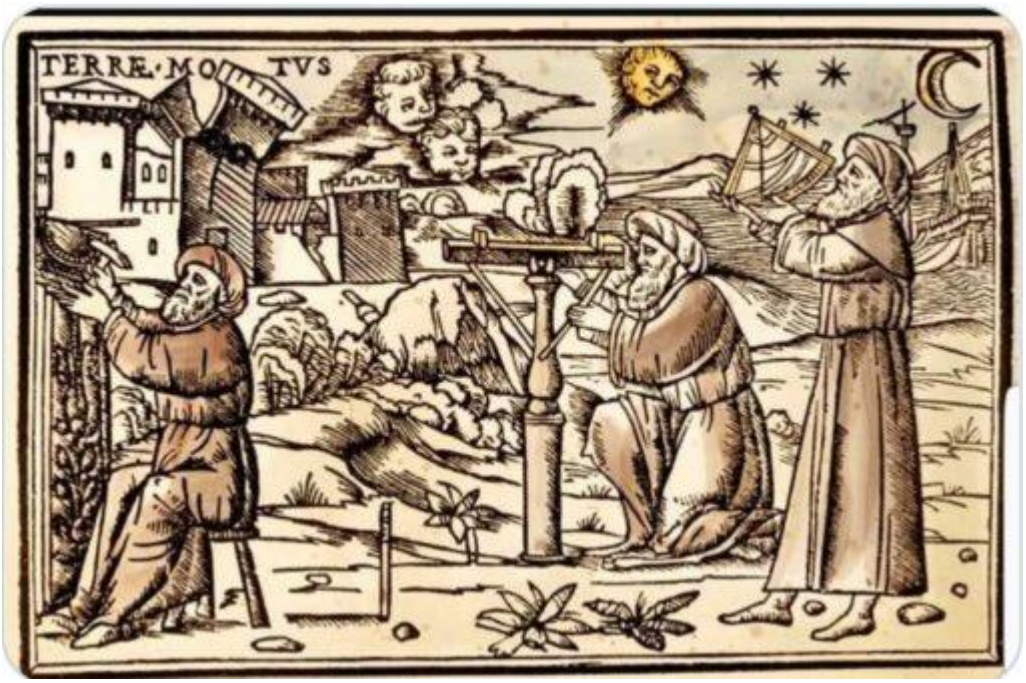

يعتمد المعاصرون في تتبعهم لحركة العلم على المنهج التاريخي، بوصفه المنهج الأكثر علاقة بهذا البحث، وهذا يظهر من خلال أعمال جورج كانغيلام* الموسومة بـ"دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها"، فتاريخ العلم من حيث المتغيرات ينقسم إلى "التاريخ" كمنهج و"العلم" كموضوع، ثم يكون دور الفلسفة ذلك البحث الذي يطرح الإشكالات التي ينبغي للعلم أن يتتبعها ويجيب عنها.

وفي هذا الصدد فإن تاريخ العلوم يرتبط بالابستيمولوجيا فيما تعلق بالتأمل في حالة التفكير العلمي أو المعرفة العلمية وما أدت به لاكتشافات في الحقول العلمية المختلفة، وعبر أزمنة متغيرة، كي لا يكون البحث في تاريخ العلوم مجرد عملية سردية، أو ذاكرة للعلم فقط، إنما تُفعل الابستيمولوجيا دورها النقدي لدراسة النظريات والرؤى العلمية وتحويلها إلى مواقف تبحث عن ما ينبغي للعلم أن يقدمه ويجيب عنه.

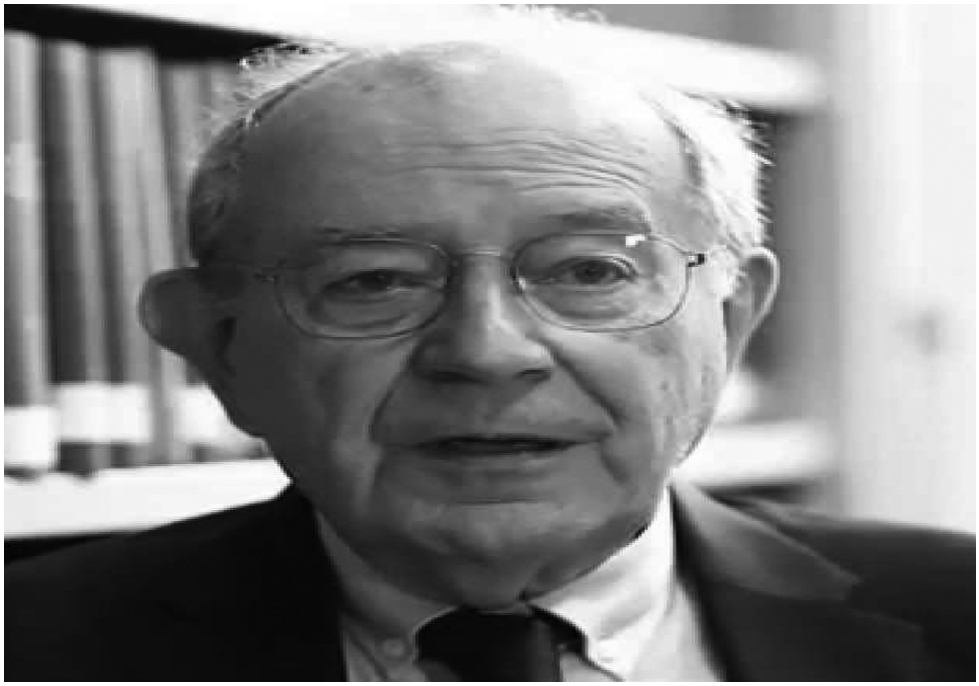

فبحسب الابستيمولوجيين، فإن العلم لا ينبغي أن ينحصر في إعادة القول به فقط، وإنما يتركز البحث فيه؛ ضمن تجريب العلم -نفسه-، أي محاولة وضع المعرفة العلمية للإنسان على المحك الامبريقي، لإدراك تحقيقها للغايات الإنسانية، ومن ثم تطويرها وتخريجها من بيئتها، وتدويلها ضمن السياق التاريخي للعلم.

ومن ناحية أخرى فإن تاريخ العلم، هو المجهر الذهني، كما أشار لذلك بيير لافيت* في كتابه "تاريخ عام للإنسانية"، أي أن تاريخ العلم حسبه يلعب دور الكاشف، عن التكوّنات التي صدرت داخل العلم نفسه، أو كما يراه كانغيلام بأنه المؤسسة التي تصدر فيها الأحكام على ماضي المعرفة، وعلى معرفة الماضي.

والحال أن هذا المسلك الذي يتخذه الابستيمولوجيين المعاصرين، يقودنا مباشرة للتساؤل عن دور فلسفة العلوم في بناء معرفة علمية تاريخية أو النظر في تاريخ هذه المعرفة، ومن هنا يتأسس لدينا السؤال حول العلاقة بين تاريخ العلوم وفلسفة العلوم؟

ثانيا: العلاقة بين تاريخ العلوم وفلسفة العلوم.

يعتمد هايدجر على التفريق بين علاقة العلم بتاريخ، والفلسفة بتاريخها، بما أن العلم هو البحث عن نتائج جديدة تحل المشكلة المطروحة، فهو تقدم دائم نحو المستقبل لتحقيق غايته، بينما تكون الفلسفة هي موضوع التاريخ، إذن فهذه العلاقة ا تُفسر بنفس الشكل وإنما تُطرح على مستوى الهدف من كليهما. فالعلم نفسه لا يفكر، ويمكن القول أنه لا يهتم كثيرًا بذاكرته، إن هدف العلم هو تصحيح نفسه – دائما- ويعتمد ذلك على التجديد وتجاوز محل النسبية في ذاته، فهو يشغل جميع الآليات النظرية والتجريبية للإثبات الحقيقة العلمية من بطلانها، فهو كما يناقشته كارل بوبر –لاحقا- بأن

العلم معرض للتكذيب حتّى يثبت صحته. فتاريخ العلم " ولكن بقدر ما نجد العلم في القرن العشرين قد أصبح الفعالية العظمى التي تشكل وتعيد تشكيل العقل المعاصر والواقع المعاصر، يومًا بعد يوم وإلى غير نهاية، نجد تاريخ العلم هو تاريخ العقل الإنساني والتفاعل بينه وبين الخبرات التجريبية أو معطيات الحواس، هو تاريخ المناهج وأساليب الاستدلال وطرق حل المشكلات التي تتميز بأنها واقعية عملية ونظرية على السواء، إنه تاريخ تنامي البنية المعرفية وحدودها ومسلماتها وآفاقها، تاريخ تطور موقف الإنسان بإمكاناته العقلية من الطبيعة والعالم الذي يحيا فيه، تاريخ تقدم المدينة المدنية والأشكال الحضارية والأساليب الفنية التي يصطنعها الإنسان للتعامل مع بيئته؛ لكل ذلك يحق لنا القول: إن تاريخ العلم وليس تاريخ العروش والتيجان والحروب والمؤامرات هو التاريخ الحقيقي للإنسان وصلب قصة الحضارة في تطورها الصاعد."*

وبما أن موضوع الفلسفة هو التفكير في ذاتها، فإن هذا يمتد للتفكير الفلسفي بشأن العلم، وهنا؛- نجد مربط الفرس في العلاقة بين فلسفة العلوم وتاريخ العلوم، أي أن فلسفة العلم هي التي تتكفل بالتفكير داخل العلم من حيث خصائصه المعرفية ومناهجه وقوانينه ومنطقه الذي يسير عليه، أي ما يعرف بنظرية المعرفة، ثم تنطلق للتفاعل بعلاقتها مع الموضوعات الحضارية الأخرى.

والحال أنه إذا كان العلم أقل اهتماما بماضيه، فإن فلسفة العلم لا تنفصل عن الأبعاد التاريخية للظواهر العلمية، وتصبح مهتمة بتاريخ العلم إلى غاية فهم أساليبه وقوانينه التي أسس على نحوها، وما الذي ينبغي أن يكون من فعل العلم لما هو قادم.

فهي تقوم على النظر إلى العلم من الداخل، أو على نظرة النظام العلمي نفسه، وعلى هذا فإن هدف العلاقة هنا هو توظيف أساليب فلسفة العلوم في فهم واستيعاب تاريخ العلم، فتفلسف العلم وانطلاقا من تطوره التاريخي، ومن خلال تفاعله مع الثقافة والبنى الاجتماعية، ذلك يعني تطورا كبيرا في نقطة الانطلاق وأسباب وعوامل النظرة الفلسفية نحو العلم، والتي هي في الواقع تكامل النظرة الفلسفية. أي، يُنظر إلى العلم من الداخل، ويُنظر إلى العلم من الخارج، نظرة فلسفية أكثر شمولاً للظواهر العلمية، وهو ما تعلق هنا بنقد الأصول والنتائج العلمية، فالنظر للعلم من الخارج لا يكون لأجل وضعه في سياق الحفظ والإقرار بنموذجيته، وإنما إعادة تصويبه دائما بطرح الأسئلة النقدية عليه.